بساتين الزينة (١)

تمهيد

من مظاهر الحياة الراقية للأمم وعنوان حضارتها ومبلغ مدنيتها وجود البساتين النضرة بين ربوعها وفي ميادينها الواسعة وحول مبانيها ما بين قصور شاهقة أو مساكن حقيرة . فانك لتجد في الممالك الراقية ان العامل لا يحرم من بستان حول مسكنه بل ترى في المدن المكتظة بالسكان التي لارتفاع اسعار الارض لا يتيسر انشاء البساتين في جميع منازلها ترى ان القوم قد تفننوا في ايجاد بساتين سطحية أو غير ذلك مما يدل على مبلغ شغفهم بنباتات الزينة

وتتبع البساتين في رقيها ومظهرها وانتشارها عظمة الامة ومبلغ ثروتها النباتية وما يوجد عند أفرادها من الميول الفنية وما من أمة على وجه البسيطة الا ولها شغف بانشاء البساتين والاكثار منها للدرجة التي تستطيعها متبعة في ذلك نظاماً خاصاً بها متأثرة فيه بطبيعة بلادها وعادات اهلها . وقد تمشت البساتين مع نهضة العالم فبلغت شأواً كبيراً وخطت خطوة عظيمة في سبيل التقدم والابداع . ومن الممالك الحالية التي عنت بالحدائق وابدعت في تنسيقها وغرسها فكانت قدوة حسنة فرنسا وايطاليا وبلجيكا والنمسا واليابان وغيرها

ومن الغريزي عند غالبية الناس على اختلاف امزجتهم وتربيتهم ان يحبوا البستان فاذا اتعبتهم مناظر حركة المدن وانهكهم العمل او الكدر لجأوا اليه ليمتعوا عيونهم بجميل مغروساته ومحتوياته ومناظره التي تحاكي الطبيعة وليتنسموا الهواء الصافي الذي ترطبه النباتات وتنقيه وتزوده الازهار من عبقها وعطرها وليشغلوا الفكر بمراقبة الطيور تغرد فوق الاشجار والفراشات تتلمس رحيق الازهار والماء يتدفق من النافورات أو تنساب في البستان وبالجملة فانهم يجدون في البستان كل ما يبعث على السرور وانشراح الصدر ويلطف الطباع الحادة وينمي ملكة الخيال واذا ما تعهد الانسان بنفسه خدمة مغروساته وجد في

(١) لحضرة الزميل محمد افندي بيومي علي بقسم البساتين

ذلك اعظم لذة واعتاد الصبر والذوق السليم وا كتسب صحة وعافية والبستان زينة المسكن وروضة الاطفال العائلية تمرح وتلهو فيه بأمان ومنه تجمع الازهار والنباتات للحفلات ولتزدان بها الصدور والموائد وغرف الاستقبال لهذا كله كانت البساتين ضرورية حول المساكن الخاصة ولهذا ايضاً عنيت الحكومات والهيئات الشبيهة بها بانشائها المتنزهات العامة لمجموع الشعب حتى لا يحرم الفقير بما يتمتع به الغني في بستان قصره وفيها تنصب تماثيل الابطال وآلهة الفنون

وللأسف ان مصر لم تأخذ بعد المكان اللائق بعظمتها في تنسيق البساتين فان عناية الافراد بانشاء البساتين حول مساكنهم الخاصة اقل كثيراً من اهتمامهم بتوسيع المباني وزخرفتها كما ان المتنزهات العامة وبالاخص ما كان منها في غير القاهرة والاسكندرية ما زالت تحتاج الى تهذيب ورقي . ولهذا كانت الكتابة في هذا الموضوع ضرورية

وقد تكون هذه الكتابة من السهل على كل من اشتغل في تنظيم البساتين ما دام يدون ملاحظاته الشخصية بعناية فان الموضوع ليست له قواعد ثابتة ولكل خياله ومذهبه بما يتفق مع ذوقه وخبرته . وعلى قدر خيال المرء ومعلوماته ومشاهدته تكون قيمة ما يكتبه في هذا البحث .

وقد يكون من المستحيل ان يتحول البستاني المصري عن عشق نباتات الشيح والالمتيرة التي يعتمد عليها كثيراً ويستعملها دائماً بمهارة في زخرفة المروج وتحديد مراقد الازهار لدرجة انه لا يكاد يخلو منها بستان واحد من البساتين الخصوصية وهي بلاعراء تعتبر في مقدمة الزروع اللازمة لزينة البساتين الصغيرة وكل اعتراض على استعمالها يكون تحدياً للقديم وتعصباً للجديد ولو كان مبتذلا . كذلك يهتم الكثير من المصريين بالزروع الزكية الرائحة كالفل المجوز والياسمين وغيرها ولا يعطيها البعض الا المرتبة الثانية من الاهمية

والانسان بغريزته يميل الى عشق الطبيعة اياً كانت وهي بحق جديرة بان تحب وتحاكي ولكن هل هي جميلة في كل اجزائها

ان الطبيعة جميلة جذابة حقاً ولكنها ليست كذلك في كل اجزائها فعلينا أن نحاكيها فيما تمتاز به ولكن لنا بعد ذلك أن نستعين بدقة الصناعة وبراعتها في

تكملة ما بدىء في انشائه مادام في مقدور الصناعة أن تأتي بأبدع وأتقن من فعل الطبيعة في بعض نواحيها .

وبالصناعة الراقية أيضاً يتمكن الانسان من تهذيب الطبيعة في بعض جهاتها السقيمة الخالية من الجمال الطبيعي المحبوب .

ولما كان من أهم الدواعي في انشاء البساتين تربية النفوس وتغذيتها بمحاسن الطبيعة الكائنة في أعضاء المملكة النباتية فيقتضي لذلك العناية في التنسيق والتوفيق بينها بحيث تبلغ كل مجموعة منها أقصى حد من الجمال فتحوز اعجاب الناظرين

وليس لبستان الزينة تلك القيمة الاقتصادية التي لبستان الخضر أو الفاكهة ومع ذلك فهو اكثر كلفة واحوج منها للعناية الدائمة والذوق السليم وتكاد تكون قيمته معنوية محضة من جهة علاقته بنفس الانسان وعواطفه فهو ضرب من ضروب الفن كالشعر والموسيقى والغناء الجميل وما البستان في الواقع الا مجموعة من مخلوقات الله الصامتة الجميلة يجاور بعضها البعض بحالة تسر النفس او بمعنى آخر هو قطعة من الطبيعة تحوي شتى الازهار المختلفة الالوان والنباتات الخضراء التي بتآلفها مع بعضها يتكون منها آية من آيات الجمال الخلاب الذي ترتاح اليه الخواطر

وعلى ذكر الطبيعة كثيراً ما نرى مجموعات عديدة من النباتات الزهرية وغيرها متفرقة ومتجمعة في بعض صحراء مصر واقرب مثال لذلك ما يشاهد في صحراء مريوط غربي الاسكندرية على ساحل البحر الابيض المتوسط التي تتحول في موسم الربيع بعد سقوط امطار الشتاء الى شبه جنة ناضرة وروضة زاهرة تفوح رحباتها بازهار المنثور (ماتيولا هيوميليس) ذات اللون البنفسجي والمديكاجو والكرزانثمم الاصفر والكالنديولا وغيرها من البصول الزهرية العديدة التي منها الاسفوديل الوردي الكثير الانتشار والسلابيروفيانا والموسكاري والياسنت الجبلي ذوات الازهار الزرقاء والايريس البصلي الجميل والاليوم الابيض والوردي والرنكيل الاحمر والانيمون وكثير غير ذلك كلها تنمو طبيعياً بين مروج الشعير الخضراء خلال شهري مارس وابريل من كل عام وليس من شك بان هذه المنطقة وخصوصاً الجهة الرملية منها (قرب ساحل البحر) تستحق زيارة كل نباتي وكل غاو لفن فلاحة البساتين حوالي اوائل شهر ابريل حيث لا يكاد يجد الانسان متراً

مربعاً من الارض خالياً من عديد الازهار المتنوعة الجذابة . وكثيراً ما تقع العين هنالك على مجاميع مختلفة منها نامية وسط الاكوام الحجرية المتناثرة بل وعلى سفح الهضاب الصخرية في الشقوق المستحدثة فيها بفعل المؤثرات الجوية وعلى العموم فجهات مربوط يمكن اعتبارها بمثابة بستان صحراوي طبيعي غير محدود ليس لايد الانسان اثر في تنسيقه تميته حرارة الشمس صيفاً ويحييه وابل الامطار شتاءً

***

والبساتين اما عمومية او خصوصية فالعمومية غالباً ما تكون ملكا للحكومات والهيئات الشبيهة بها كالمجالس المحلية والبلديات فتقوم تلك الهيئات بفلحها وغرسها والعناية بها خدمة لجمهور الناس وخصوصاً الذين يتعذر عليهم انشاء الحدائق حول مساكنهم وتختلف البساتين العمومية عن بعضها في المساحات تبعاً لحاجة الجمهور وقدرة القائمين عليها فتبلغ من قيراطين الى مساحة غير محدودة وكثيراً ما تصل مساحة بعضها الى عشرات الافدنة بينما اكثرها في المدن الصغيرة لا يتعدى بضعة افدنة . وذات المساحة الصغيرة منها لا يسمح بمرور الجمهور فيها غالباً لضيقها ولا يعمل بها طرقات بل تبقى كلها بمثابة بساط أخضر يتخلله احواض الازهار ويكتنفه عديد من الاشجار والشجيرات الجميلة وكثيراً ما يوجد امثال لتلك البساتين الضيقة حول قواعد التماثيل في الفسقيات بالميادين الواسعة وعلى الزوايا الحادة عند تلاقي طريقين وحول المراحيض العامة وغير ذلك

اما البساتين الخصوصية فهي التي تلحق بالمنازل والقصور واكثرها نقل مساحته عن نصف فدان وفي بعض الاحيان تبلغ بضع قصبات وصغر البستان مسألة متعبة يصعب معها اظهار براعة التنسيق والاختراع وخصوصاً اذا كان البستان محيطاً بالمنزل في اكثر من جهة واحدة وذلك بخلاف المساحات الواسعة التي يتيسر لمن يباشر تخطيطها ان يظهر مواهبه ومبتكراته بسهولة وحيث ان مثل تلك البساتين الواسعة يمتلكها في الغالب ثراة القوم فان المال قد لا يقف عقبة في سبيل اتقان تخطيطها وانتخاب افضل النباتات لها وانشاء كل ما يزيد من بهجتها ومنفعتها

تخطيط بساتين الزينة

ليست عملية تخطيط البستان بالعملية السهلة التي يستطيع كل انسان اتقانها ومباشرتها بدون كبير عناء اذ يجب ان يتوافر فيمن يتصدى لمباشرة تلك المهنة الذوق السليم والخيال الواسع وان يكون بطبعه محباً للبساتين على علم بكنه النباتات المختلفة التي يصلح غرسها بالبساتين وبحالة الارض ليتمكن من التوفيق بين الرسوم والزروع . فلا يضع شكلاً من الاشكال الا ويعلم اي النباتات تليق به .

ومن الصعب التوفيق بين مختلف الاذواق لهذا فان تخطيط البساتين لا يجري على وتيرة واحدة ولا يمكن ان يسلم من النقد وانما تتجلى مقدرة الشخص القائم بهذه العملية وتفوقه فيها فيما يبتدعه مدفوعاً بالقوة الفنية أو التخيلية أو بمعنى آخر قوة الابتكار والتفنن . ومما لا شك فيه ان أحسن تنسيق للبستان ما جاء موافقاً لمزاج صاحبه وانما افضل من ذلك البستان الذي يجتذب اكبر عدد من المعجبين غيره .

وتظهر مهارة الرسام في تخطيط البساتين الضيقة بدرجة أوضح مما في تخطيط المساحات الواسعة التي يسهل احتواؤها على اشكال عديدة ومناظر متباينة ومروج واسعة هي وحدها قد تكون كافية لاعطاء البستان روعة وفخامة . اما البساتين الصغيرة فانها لا تبهج النفس الا اذا عني بتخطيطها حتى تجمع ابهى المناظر وانتخب لها انسب الاشجار والشجيرات واحب الازهار وبغير ذلك لا يكون منظرها ممتعاً

وكثيراً ما يعتني صاحب البستان بانتخاب النباتات القيمة وابتكار المنشآت الغريبة التي تلفت الانظار ويطمع من وراء ذلك ان يتفوق بستانه على جميع البساتين المجاورة ولكن قلما تتحقق امنيته هذه تماماً رغم ما يبذل من مال ومجهود اذا لم يحسن اختيار موقع البستان بالنسبة للمباني وتتوافر المهارة في ترتيب المغروسات ووضع المنشئات والاشكال المتباينة في انسب مواقعها بالنسبة لما حولها وللبستان عامة

والتخطيط في الارض الممهدة المستوية اسهل منه في الارض التي بها ارتفاعات وانخفاضات . والاخيرة اذا قصبت لتسوية سطحها فان الثرى الخصب الذي ينقل

من الاماكن المرتفعة الى المنخفضة يزيدها عمقاً وخصباً على خصبها ولكن ينعدم الخصب أو يقل في الموقع الآخر الذي ازيل ثراه ولا يخفى ما قد يترتب على ذلك من ظهور اختلافات في درجة نمو النباتات فتبدو قوية في ناحية من نواحي البستان وسقيمة باهتة في اخرى وترى هذه الظاهرة جلياً في نباتات المروج المقامة على تربة غير متماثلة الخصوبة في جميع انحائها لهذا قد يكون من المستحسن ترك هذه الارض ذات الارتفاعات والانخفاضات على حالتها الطبيعية ما امكن وانما يحتاج ذلك الى حذق ومهارة في تخطيط البستان حتى يكتسب روعاً وجمالاً خاصاً بهذه الحالة الطبيعية

موقع البستان

لموقع البستان دخل كبير في نظام تخطيطه وغرسه وانتخاب النباتات المناسبة له ففي الجهات الشمالية المكشوفة (كالاسكندرية وبور سعيد) حيث التيار الهوائي اشد قوة والجو أكثر رطوبة يصعب الانتفاع بكثير من النباتات الجميلة الرقيقة مالم تتوافر لها الوقاية مما يؤثر في نموها — اما البقاع الساكنة الكثيرة الشمس فقد تكون اكثر ملائمة لانشاء البساتين العمومية فيها وبما ان الغرض من هذه البساتين انما هو ترويح النفوس بمحتوياتها فيجب ان يكون موقعها مما يسهل الوصول اليه بعيداً عن الجلبة والمناظر غير المرغوب في رؤيتها كثيراً كالجبانات والمساكن المتهدمة او القذرة وكالزرابي والمياه الآسنة والروائح الكريهة وغير ذلك مما تنقبض له النفس ويتنافر مع ما يطلبه الانسان في البستان من الهدو والمناظر الجميلة وكل مايبعث لانشراح الصدر وراحة الفكر

اما في حالة البساتين الملحقة بالمساكن الخصوصية فمن المهم عند وضع تصميم البناء تعيين موقع البستان بالنسبة للمباني فان الارتباط وثيق بينهما ولا يقتصر ذلك على الرونق الذي يكتسبه المسكن من المنظر العام للبستان وموقعه منه وانما يراعي ايضاً ما يترتب على موقع البستان من نفوذ الهواء والضوء الى غرف المسكن مع ايجاد التناسب بين كل غرفة ومطلاتها من البستان بمعنى ان المنظر الذي يتمتع به الناظر من نافذة غرفة المطالعة يجب ان يكون منظر هدو وبساطة بخلاف المنظر من غرفة الاكل مثلا اذ لا مانع فيه ان يجمع ما يجتذب العين من مختلف الوان

الازهار وغيرها والمنظر من غرفة الاستقبال يكون منظر النظام والفخامة وهكذا

واذا كانت الارض كبيرة المساحة فالافضل ان يحيط البستان بالمنزل من جهاته الاربع او من ثلاث جهات على الاقل. وفي كل الاحوال يراعي ان لا يكون البستان محصوراً بين جدران شاهقة تمنع اشعة الشمس عن مغروساته

*
* *

وهناك عدة اعتبارات يجب على الرسام مراعاتها قبل البدء في التخطيط نذكر منها : —

(١) معاينة الخريطة الحاوية للتصميمات المعمارية ودراسة محتويات المباني نفسها من كل الجهات ليعطي كل جهة حظها من الاشكال والمغروسات .

(٢) معاينة الارض ومعرفة معدنها وعمقها ودرجة صلاحيتها حتى اذا عازها الاصلاح اجرى ذلك قبل الغرس

(٣) قدرة المالك واستعداده المالي حتى يراعي في وضع رسومه الاختصار او التوسع في الزخرفة مما يدعو لقلة او كثرة المصاريف

(٤) رغبات المالك وأمياله فيما يختص بالرسوم والمغروسات والمنشآت لان الغرض الاول الحصول على رضاه

(٥) معرفة مساحة البستان بالدقة ليسهل عليه ضبط اعماله وتقديراته.

وعند الشروع في عمل التخطيط يراعي ما يأتي : —

(١) اختيار الاسلوب التخطيطي الذي يتفق مع ذوق المالك نفسه

(٢) تسوية سطح الارض قبل البدء في التخطيط

(٣) عمل الرسم على الورق بمقياس متناسب مع مساحة البستان بنسبة عكسية اي بمقياس صغير كلما كبرت المساحة والعكس وبالعكس حتى يجمع الرسم جميع ما يحتويه البستان بشكل واضح ويمكن تقدير تناسق اجزاء البستان مع بعضها وتناسقها مع المسكن نفسه

(٤) يلاحظ ان يكون المنظر العمومي للبستان مبهجاً وان لا يكون هناك تنافر بين المناظر المتباينة ولا بين احجامها وحجم البستان .

(٥) يلاحظ ان جمال البستان بجمال مروجه وازهاره والعناية بغرسه ونظافته

(٦) تغرس الاشجار الباسقة في الاماكن المناسبة كالجهات القبلية والغربية حتى ينتفع بها في تخفيف أشعة الشمس الشديدة والرياح القوية

(٧) تغرس النباتات الجميلة الثمينة حيث يمكن الانتفاع ببهائها وخضرتها من الشرفات .

(٨) يجب ان تحجب المناظر التي قد تكون على مقربة من المنزل وتكون غير مرغوب فيها كمناظر المدافن والخرائب والمستنقعات وغيرها وذلك بغرس الاشجار الكثيفة في اتجاهها وبالعكس من ذلك يجب الانتفاع بما هو خارج البستان من المناظر المحبوبة فلا يغرس ما يحجبها عن الانظار في الاتجاهات المطلوب رؤيتها منها كمناظر الماء ومنارات الجوامع والمزارع وغير ذلك .

(٩) يمكن للرسام الماهر ان يظهر البستان بأوسع من حجمه الحقيقي وذلك بحجب اطرافه عن الناظر حتى يتخيل ان البستان ما زال ممتداً الى ما وراء ذلك

(١٠) يخصص الجزء المنخفض من ارض البستان لانشاء بركة مائية اذا شاء المالك ذلك .

(١١) معرفة مصادر الماء ووسائل الري في البستان .

(١٢) عمل تقسيم خيالي في الذاكرة لكل ناحية من البستان على حدة

(١٣) تقدير حاجة البستان من الازهار وغيرها طول السنة

(١٤) تعيين اتجاهات الرياح الشديدة لتغرس في مقابلها الاشجار التي تمنع ضررها على الزروع

(١٥) يراعى في البساتين الصغيرة عدم الاكثار من الطرقات حتى تأخذ المروج والكنارات من الاتساع ما يجعلها ذات تأثير في نفس الرائي

الاسلوب التخطيطي

يتكيف الاسلوب التخطيطي في الاقطار المختلفة بحسب جغرافيتها الطبيعية وميل اهلها . وتتأثر الميول عادة بطبيعة البيئة الموجود فيها الانسان وهي من وحي النفس التي تنمو متأثرة في الوسط المحيط بها دائماً ابداً فتكتسب ميلاً خاصاً

اذ ينطبع على صفحتها صورة تقليدية وهمية مما حولها فتنساق الى حب ما تعودته ونشأت عليه ومن هنا تنوعت الاساليب التخطيطية بتنوع البيئات والميول

فاذا نظرنا الى الذوق الهولندي أو البلجيكي في التخطيط يرى وقد طبع الاهالي على حب النظام والدقة مع البساطة والسكون ان أساليبهم التخطيطية عبارة عن مجموعة أشكال هندسية منتظمة ذات حدود مستقيمة مغطاة بالحشائش بمثابة أبسطة خضراء مستوية غالباً ومراعى في رسمها وغرسها النظام والتناظر والعناية ولا تكاد الاشكال العديدة تتعدى المربع او المستطيل أو شبه المنحرف مزدانة كلها بقليل من الاشجار والشجيرات المعتنى بقصها والمغروسة على ابعاد متماثلة من حدود الشكل وقد يجمع تلك الرسوم العديدة مع بعضها مركز وسطي بشكل تمثال أو دائرة كبيرة مغروس فيها نوع من الازهار أو عدة أنواع تتوسطها شجرة او شجيرة حسنة المنظر . ولا يميل هؤلاء القوم لتخطيط انحناءات أو تعرجات أو لعمل غابات أو منشآت مائية بشكل طبيعي أو لغرس عدة نباتات متباينة في شكلها وطبيعة نموها مزدحمة في الكنارات والاركان (ويرى انموذج ينطبق على هذا الاسلوب بمدينة بور سعيد يحيط بدور الحكومة وفي ما بين المساكن الجديدة المنشأة شرقي القناة « بور سعيد الشرقية أو الجديدة » وامام محطة السكة الحديد) .

أما الذوق الانكليزي في التخطيط فقلما يظهر فيه شيء من التكلف ويلاحظ انعدام التناظر في الرسوم كلية فلا يميلون للزخرفة على المروج ولا لمراعاة القياس في غرس الاشجار بها . وللسكنى يقتصرون على جزء في جانب البستان بشكل مربع أو مستطيل ينشأ عليه المسطح الاخضر يحده من جانب واحد او جانبين كنار أو داير يحوي عديداً من النباتات الزهرية حولية وذات حولين ومعمرة يحيط بكل ذلك كنارات واسعة مستقيمة يغرس بها شتى الاشجار والشجيرات والنباتات الزهرية مزدحمة مع تخصيص جزء في ناحية من البستان لزراعة الورد ويسمى بحديقة الورد وفي أخرى تغرس غابة من الاشجار الباسقة وفي ثالثة تعمل جبلاية من النباتات الصحراوية او الصخرية وفي ناحية رابعة يقام جوسق من النخيل أو فروع الاشجار الاخرى وتخصص مساحة للعب

الثنس وهكذا . وللانكليز ميل كبير لزراعة الخضروات في بساتين الزينة الملحقة بالمنازل حتى في الاماكن الظاهرة والتي يحسن تخصيصها لزروع الزينة كما أنهم لا يميلون لقص الشجيرات على اشكال نظامية ولا لانشاء المنشئات البديعة كالفسقيات والنافورات الفخمة وغيرها وبالجملة فانهم في ذوقهم يتجهون الى تقليد الطبيعة على اصلها فحدائقهم على العموم خالية من الرشاقة والزخرفة التي يتميز بها الاسلوب الفرنسي

واذا نظرنا الى التخطيط والتنسيق في الذوق الفرنسي لوجدناه خليطاً من النظام الهندسي العديد الاشكال والطبيعي مع وجود تناظر كثير بين الرسوم المتقابلة وهذا ما يسمى بالتخطيط المختلط . ويميل الفرنسي لانشاء الفسقيات الفخمة تتوسطها النافورات المتنوعة باتقان مدهش والى المنشئات الجميلة التي تدل على تقدم الصناعة (كالجواسق من الخشب المخدوم المزخرف او الحديد والكباري المنظمة وغيرها ويرى امثال لذلك ببساتين القاهرة)والى استحداث ارتفاعات وانخفاضات في سطوح الروج والتفنن في قص الاشجار والشجيرات بالبستان فرادى او مجتمعة في شكل سياج والى احداث نقوش زخرفية وتنويع في اشكال مراقد الازهار فوق الروج وغير ذلك مما يدل على الخفة والرشاقة والتأنق التي امتاز بها القوم في طباعهم ومعيشتهم وكل ما هو خاص بهم

واذا نظرنا الى الاسلوب التخطيطي عند اليابانيين لوجدناهم يكثرون من المنشئات المائية على نسق طبيعي وبدون كلفة فأسلوبهم خاص بهم يمكن النقل عنه اذا اريد الحصول على مناظر طبيعية ذات جمال وبساطة .

وخلاصة ما تقدم انه يمكن تقسيم الاسلوب التخطيطي الى ثلاثة انواع :—

طبيعي — وفيه لا يتقيد الرسام بالخطوط الهندسية المنتظمة او بمراعاة الدقة والتناظر في الاشكال وانما يعمل على تقليد المناظر والاشكال الطبيعية في وضعها وتناسقها ليحصل من ذلك على نماذج صغيرة تكاد تكون صوراً للطبيعة لا يدخلها في مجموعها شيء من الكلفة واقدر الناس على هذا النوع من التخطيط هم قاطنو البلاد الجبلية والغابات الطبيعية كالايطاليين واليابانيين والسويسريين وقد اشتهر الاول بانشاء الجبلايات والمنشئات الصخرية بمهارة فائقة .

هندسي — وفيه تكون الطرق والكنارات مستقيمة او ذات انحناءات هندسية فيتكون من ذلك مروج ذات اشكال هندسية منتظمة ومتناظرة (اي ان كل شكل في جهة يكون له نظير له في الجهة الاخرى المقابلة له) وهنا يتقيد الرسام المباشر لعملية التخطيط بالمقاييس وأدوات الرسم في وضع البستان.

مختلط — وهو خليط بين الطبيعي والهندسي اذ يجتمع في صعيد واحد المناظر الطبيعية والرسوم الهندسية والاعمال الزخرفية والمنشئات الصناعية الجميلة

يميل المصري عادة الى الذوق الفرنسي في تخطيط وتنسيق بستانه ويظهر ذلك في النقش على المروج بنباتات زخرفية كالاترانتيرا والشيح والاراديكا وهذا الميل نتيجة الخبرة التي اكتسبها المشتغلون بالبساتين العديدة التي انشأها المغفور له اسماعيل باشا بنواحي القاهرة على اسلوب بساتين باريس بمعرفة الاخصائيين الذين استدعاهم لهذا الغرض

الاشكال والاعمال التي يتكون البستان منها كلها أو بعضها

بعد معاينة الأرض ودراسة المباني ورغبات المالك وبعد تجهيز أدوات الرسم والتحقق من صلاحيتها للعمل وتكوين فكرة خيالية مؤقتة عن نظام البستان يبدأ الرسام في عملية التخطيط واضعاً نصب عينيه جميع المناظر والأعمال التي يتضمنها البستان كلها أو بعضها ويمكن حصرها في الآتي :

١ — الاسوار المحيطة بالبستان نباتية أو غير نباتية .
٢ — الطرق الرئيسية والممرات المتفرعة منها .
٣ — الكنارات والدوائر .
٤ — الرحبات المظللة بالاشجار الدائمة الخضرة .
٥ — الابسطة الخضراء (المروج)
٦ — مراقد الزهور .
٧ — حديقة الخضر لتموين المالك :
٨ — الفاكهة .
٩ — الورد .

١٠ — غابة من الاشجار للاستظلال .
١١ — محال لتربية النباتات .
١٢ — جبلاية حجرية أو ربوة صناعية .
١٣ — جبلاية جذرية
١٤ — فسقية ذات نافورات
١٥ — جدول أو بركة للنباتات المائية والاسماك المه
١٦ — الجواسق .
١٧ — القاعد مكشوفة او ذات مظلات .
١٨ — الاسيجة الصناعية .
١٩ — التماثيل وماشا كلها .
٢٠ — مخزن لمهمات البستان

عملية التخطيط

لايتحتم لتخطيط البساتين الصغيرة التي تقل مساحتها عن ستة قراريط (حوالي ١٠٥٠ متراً مربعاً) استعمال الورق في عمل التصميم الاولي اذ يتيسر للعين ان تقع عليها كلها في نظرة واحدة أو كانت تلك المساحة الصغيرة موزعة على اكثر من جهة واحدة حول المباني ويمكن البدء بالتخطيط على الارض مباشرة بعد تمهيدها جيداً وتكوين الفكرة عن الرسم المطلوب. اما في البساتين الواسعة التي يتعذر حصرها بنظرة واحده فلاغنى في تخطيطها عن الرسم اولا على الورق ليسهل التوفيق بين محتوياتها العديدة من رسوم واعمال صناعية وليتيسر اجراء التعديلات التي يرى وجوبها قبل التخطيط على الارض فيتعذر عمل تغيير او ابدال. وعند الشروع في التخطيط يبدأ الرسام بأن يلقي على ارض البستان نظرة عميقة مع التأمل الطويل حتى يلم بموقع المباني وغيرها من الاشياء الثابتة ويتخيل الرسوم التي تلائم كل ناحية من البستان والمغروسات التي تناسبها ثم يشرع في عملية التخطيط بالقلم على الورق ليضع رسما مصغراً يصور فيه ماطبع في مخيلته اثر نظرته وتأملاته ثم يعين المنشئات والاعمال المطلوبة في البستان مما سبق ذكرها ويختار لكل منها الموضع الملائم لها

فالتماثيل مثلا موضعها في الطريق الرئيسي او الجهة الرئيسية كذلك الفسقية بينما تنشأ الجبلاية في ركن من البستان ويغرس الورد في مكان شمسي هادىء منظور ويقام الكشك بعيداً عن جلبة الشوارع وغبارها متوارياً عن انظار المارة وقس على ذلك باقي المنشئات

والبساتين الصغيرة لا يوافقها الاكثار من المناظر الطبيعية وانما يليق بها التنسيق الهندسي مع مراعاة النظام والتسامت والدقة وقد تزداد بهجته بالاكثار من الاعمال الزخرفية فيها . وكذلك في البساتين الواسعة قد يكون من المناسب اتباع الاسلوب الهندسي على مقربة من المباني ليتفق ذلك مع زخرفتها ويتبع الاسلوب الطبيعي في النواحي المتباعدة عن البناء اذ ان فخامته تتنافر مع بساطة المناظر الطبيعية ومن المهم جداً عند التخطيط تقدير العناية الممكن بذلها في خدمة البستان فيراعى مثلا في البساتين التي لا ينتظر ان تتوافر بها الايدي العاملة الى حد الكفاية أو التي يتعذر الحصول على بستاني ماهر لخدمتها ان يكون تخطيطها قدر ما يمكن من البساطة حتى لا تحتاج لعناية كبيرة باستمرار اذ كثيراً ما يقوم بخدمتها خفير المنزل او المالك نفسه اذا كان من الغواة .

ويجمل بالرسام المباشر لعملية التخطيط ان لا يكتفي برسم انموذج واحد لبستان ما وانما يعمل رسمين او عدة رسوم متباينة للبستان الواحد بحسب اهميته ويستعرض تلك الانموذجات المختلفة مع بعضها لينتخب منها هو أو المالك ما يروق لهما . ويمكن تكوين الاشكال بما يتفق مع الوان مغروساتها حتى يكون الرسم صورة ناطقة بما سيكون عليه البستان فتبين المروج باللون الاخضر والزهور بخليط من الالوان بهيئة نقط متجاورة والمياه باللون الازرق والاشجار باللون الاسمر وهكذا واحسن الالوان هي المائية وتحتاج في استعمالها الى خبرة خاصة وتدريب

رسم البستان

يقوم الرسام بعد التفكير ووضع الخطة وحصر الاعمال المطلوب توافرها في البستان باتباع الخطوات الآتية للقيام بعمله :—

١ — عمل رسم على الورق تبين به حدود الارض وما عليها من المباني الثابتة

كالسكن وملحقاته وتحدد عليها مواضع الاشياء الثابتة الاخرى كالفسقيات والجواسق وما ماثلها .

٢ — تعيين سير الطريق الرئيسي الذي يصل باب البستان بباب المنزل .

٣ — تخطيط جانبي هذا الطريق بما يليق بمدخل السراي ويشرح صدر الداخل اليها ويدفعه الى الاعجاب والحبور

٤ — وأخيراً يشرع في تخطيط الكنارات والمسطحات الخضراء بقدر ما تسمح به مساحة البستان وباشكال هندسية منتظمة او غير هندسية مراعياً مد ممرات ضيقة الى مختلف المحال التي يطلب الوصول اليها

أما الارض المجاورة لجدران المنزل من الامام وهي الكائنة على جانبي مدخله عند نهاية الطريق الرئيسي فاما ان تجهز كمرقد للزهور أو مسطح اخضر صغير أو تعمل بشكل كنار يغرس به شجيرات جميلة المنظر تقلم هندسياً أو تصف فيها أصص النباتات المزهرة الجذابة كالسنراريا والاروله كل في موسم تزهيره أو باصص الاشجار من أنواع النخيل (كاللاتانيا والفينكس وغيرها)

ويحسن في البساتين الواسعة تقسيم الارض بخطوط طويلة وعرضية متعامدة الى مربعات متساوية او مستطيلات (او الى مغلقات متماثلة بقدر الامكان اذا دعى الحال الى ذلك) بحيث ينتج عن هذا التقسيم مربعين او مثلثين على الاقل لكل قيراط من الارض . وكلما صغرت المربعات المذكورة كلما كان الرسم أدق وخصوصاً في البساتين التي تقل مساحتها عن نصف فدان (حوالي ٢١٠٠ متر مربع) وأما في المساحات الكبيرة فلا بأس من جعل التقاسيم اكبر مما تقدم ثم ترفع تلك التقاسيم على الخريطة . وهذه التقاسيم تفيد في نقل الرسوم من على الورق الى الارض حيث يسهل تطبيق كل رسم على الورق في كل قسم منها الى التقسيم المناظر له على الارض وقد تنقل التقاسيم كما هي على الارض الى الورق قبل مباشرة التخطيط ويباشر الاخير بعد ذلك . أو تعمل التقاسيم مباشرة على الورق وتنقل فيما بعد الى الارض

بساتين الأرياف

لبساتين الارياف اعتبارات خاصة في تخطيطها قد لا يلتفت اليها عند رسم البساتين المحيطة بالمساكن في المدن الكبيرة اذ قد يكون من الضروري بحكم موقعها أن تجتمع زروع الخضر والفاكهة بزروع الزينة في بستان واحد لتموين المالك بما يلزمه منها فيخصص للفاكهة قطعة من ارض البستان في الجهة الخلفية من المنزل غالباً يجاورها مساحة اخرى لزراعة الخضراوات المطلوبة طول السنة ويفصلها كلها عن بستان الزينة سياج من الشجيرات الجميلة الأزهار أو الزخرفية الاوراق أو صف من اشجار الفاكهة الدائمة الخضرة او حائط من النشاب (البغدادلي) يتسلق عليه نوع من الورد أو كروم العنب أو أي متسلق مشهور بجمال ازهاره أو بزكاء رائحته كالياسفلورا والياسمين وشبر فايد وغيرها . ويغلب ان تكون بساتين الأرياف أكبر مساحة عن نظائرها بالمدن بالنسبة لغلو اراضي المدن . وقد يتحتم احياناً في البساتين الريفية ان يخصص بها امكنة لتربية النباتات اللازمة للبستان نفسه أو للتصريف ويختار لذلك أيضاً ركن قصي من اركان البستان ويحاط بسياج من الدورنتا او الاكاليفا لحجبها عن الانظار كما يفعل مثل ذلك بالمباني الصغيرة التي من ملحقات المساكن الكبيرة كالعربخانة وغرفة الخفير وخلافها . ولتعذر ماء الري قد يدعو الحال لانشاء مضخة صغيرة او كبيرة تكفي لري البستان حيث لا سبيل في الريف لجلب الماء بغير ذلك من وسائل الري بالمدن ويحسن ان تكون المضخة المذكورة قريبة ما امكن لمحل التربية البادي ذكره

ويندر أن يخلو بستان خاص حول مسكن من اشجار الفاكهة ولو القليل منها اذ الرغبة فيها شديدة عند اكثر الملاك سواء في المدن او في الارياف وهذا بالأخص ميل اغلب المصريين

وفي الحقيقة ليس أبعث للسرور والانشراح وانت تطل من نافذة غرفة نومك في الصباح المبكر من ان تقع عينك على شجرة بعيدة من المشمش وقد اكتست بأزهارها الناصعة او ان تلمح ازهار الخوخ الوردية كما وان شهيتك

للأكل تزداد وانت تشاهد من غرفة الأكل عناقيد العنب مدلاة من كرومه فاشجار الفاكهة لا تعجز عن اشغال مكانها ببستان الزينة في جدارة واستحقاق . وليس هذا كل ماهنالك فان الفاكهة التي يأكلها الانسان من بستانه الخاص والتي يرقب نضجها يوماً بعد يوم وتتخاطفها افراد العائلة من على اشجارها هذه الفاكهة لاتعادلها حلاوة مايشترى من الاسواق .

ويجب انتخاب اجود اصناف اشجار الفاكهة مهما كان ثمنها ويختلف مايزرع منها في الكثرة أو القلة تبعاً لمساحة البستان ورغبة المالك . وتحتاج اشجار الفاكهة الى المكان الاكثر تعرضاً للشمس لهذا تغرس في الجهة القبلية من البستان واذا تعذر ذلك فالشرقية او الغربية اذ على قدر تعرض الاشجار للشمس والهواء الخالص تكون قوة انتاجها للثمار وكثرة الظل تسبب ضعف حملها أو عدم اثمارها .

ولما كان وجود اشجار الفاكهة بين نباتات الزينة أمراً ثانوياً فلا يجب الاكثار من الاولى بدرجة تقلل من تأثير الثانية وتذهب برونق البستان . واذا لم تكن مساحة بستان الزينة كبيرة فلا ضرورة لتخصيص مساحة لها تغرس فيها على ابعاد متساوية من بعضها كما هو الحال في بساتين الفاكهة بل توزع في نواحي البستان حسب ماتقتضيه الرسوم المختلفة وفي هذه الحالة لاتعامل معاملة خاصة في الري وانما نتبع في ذلك زروع الزينة المجاورة لها . واحسن ماتزرع الفاكهة في الكنارات الجانبية والنائية بعيدة نوعاً عن الاسوار حتى لايسهل سرقة ثمارها